

المعهد العلمي السعودي

بمكة المكرمة

الأستاذ

الدكتور

عبد اللطيف

ابن عبد الله

ابن دهيش^{*}

بكالوريوس في التاريخ من كلية الآداب جامعة الملك سعود.

دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر من جامعة ليدز - بريطانيا عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

يعمل الآن - أستاذاً بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة أم القرى.

• يعد المعهد السعودي أول مؤسسة تعليمية للدراسة لما بعد المرحلة الابتدائية في المملكة العربية السعودية، حيث قامت مديرية المعارف بافتتاحه في مكة المكرمة بحي أجياد في أواسط عام ١٣٤٥هـ بعد افتتاح المدارس الابتدائية الأربع، وقد أطلق عليه في البداية اسم «المعهد الإسلامي».

ويظهر أن الهدف من تأسيسه :

١ - رغبة الملك عبدالعزيز في تطوير التعليم، وتحديث مناهجه، بإدخال علوم حديثة ضمن مقرراته الدراسية؛ ولذلك حرصت مديرية المعارف العامة على تعيين نخبة من المدرسين من كبار العلماء اختارتهم من داخل الدولة وخارجها.. وحتى لا يكون التعليم قاصراً على التعليم الابتدائي فقط، بل يجب أن يساير تطورات التعليم بمراحله المختلفة، التي كانت موجودة في المنطقة وما جاورها من الدول العربية والإسلامية، ولذلك نجد

الطبعة

السنة التاسعة

العددان : الرابع والخامس والثلاثون

جمادى الآخرة - رمضان ١٤٢٧هـ

يوليو - أكتوبر ٢٠٠٦م

تتابع فتح المؤسسات التعليمية، الواحدة تلو الأخرى حسب إمكانية الدولة، وحسب حاجة المجتمع.

٢- لمواجهة النقص الحاد في أعداد المدرسين والموظفين المؤهلين تأهيلاً علمياً، ولذلك سارعت مديرية المعارف العامة في فتح هذا المعهد لإعداد المعلمين المتخصصين للتدريس في المدارس الابتدائية التي بدأت الدولة في افتتاحها في مكة المكرمة وغيرها من مدن الدولة، منذ تأسيس مديرية المعارف العامة.

٣- تزويد الدوائر الحكومية بالموظفين الذين لديهم معرفة جيدة بالعلوم الدينية، واللغة العربية وآدابها، والحساب، بعد أن تم تأسيس عدد من الإدارات والمصالح الحكومية^(١).

٤- التأكيد على تنفيذ توصيات المؤتمر الإسلامي، والتي منها: إنشاء مدرسة خاصة في الحجاز تقوم بتخريج العلماء^(٢)، ويدرس فيه علوم الشريعة الإسلامية، واللغة العربية، والعلوم الاجتماعية، والرياضيات، وسنن الكائنات (العلوم)، والحضارة الإسلامية، حسب منهج إسلامي^(٣).

وقد علم الناس بافتتاحه عندما أعلنت مديرية المعارف العامة في الجريدة الرسمية (أم القرى) الإعلان التالي: «بسم الله وبحمده، يفتح المعهد الإسلامي السعودي أبوابه يوم الأحد الآتي ١٤ جمادى الآخرة (١٣٤٥هـ)، فعلى الطلاب الذين قيدوا أسماءهم أن يحضروا صباح الأحد...»^(٤).

(١) عبد اللطيف ابن دهيش : التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبدالعزيز - ط ١ - مكة : مكتبة الطالب الجامعي، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ٦٦ .

(٢) أم القرى : العدد ٧٥ بتاريخ ١١/٣٠/١٣٤٤هـ .

(٣) أم القرى : العدد ٩٩ بتاريخ ٤/٢٩/١٣٤٥هـ .

(٤) أم القرى : العدد ١٠٥ بتاريخ ١١ / جمادى الآخرة ١٣٤٥هـ .

ويقدم لنا الأستاذ أحمد علي الكاظمي، الذي كان من أوائل الطلاب الذين تم قبولهم بالمعهد صورة حية عن وقع هذا الخبر في نفسه، حيث استبشر بالإعلان. وقرر الالتحاق بالدراسة بالمعهد، فيقول: «ونفذت العزم عملياً بالذهاب إلى فضيلة مدير المعهد بأجياد، وقيدت اسمي، وكنت أظن أن الإقبال على المعهد سيكون كبيراً من جانب الأهالي، ولكنني لاحظت عندما قيد فضيلة المدير اسمي في السجل قلة الأسماء المكتوبة»^(١).

ولم تكن هناك شروط محددة لقبول الطلاب للدراسة بالمعهد، بل نجد أنه يُقبل في هذا المعهد عند بداية تأسيسه كل من أتم دراسته في المدارس الأميرية الأربع التي كانت موجودة في مكة من العهد السابق، ومن سبق له الدراسة في حلقات المسجد الحرام، أو كل من لديه إلمام جيد بالعلوم الدينية، واللغة العربية التي تؤهله لمواصلة دراسته في المعهد، ومدة الدراسة بالمعهد^(٢) عند افتتاحه ثلاث سنوات.

وكان من بين الطلاب الذين تم قبولهم للدراسة بالمعهد كل من: أحمد علي الكاظمي، وسليمان بن حمدان، ومحمد صادق الكردي، وعبدالرحمن القويز^(٣)، وهذه على ما يبدو ليست كل الأسماء المسجلة في المعهد، وإنما هنالك أسماء أخرى لم نستطع معرفتها.

(١) أحمد علي الكاظمي . ذكريات ٠٠ - ١ ط ٠٠ ، الطائف: مطابع الزايدي للأوفست، ١٣٩٧هـ، ص ٧١ - ٧٢ .

(٢) عبدالعزيز بن عبد الله آل الشيخ . لمحات عن التعليم وبداياته في المملكة العربية السعودية - ٠٠ - ١ ط ٠٠ - ١٤١٢هـ، ص ٢٢ .

(٣) أحمد علي . ذكريات ، ص ٧٢ .

ويبدو أن مديرية المعارف العامة كانت لديها الرغبة الأكيدة في تعميم التعليم لما بعد المرحلة الابتدائية، ولذلك قامت باستقدام مجموعة من المدرسين ذوي الكفاية في التخصصات التي يحتاجها المعهد قبل الإعلان عن افتتاحه رسمياً، بدليل وجود الهيئة التدريسية المطلوبة منذ الأسبوع الأول من افتتاحه، وكانت الهيئة التدريسية في البداية مكونة من الأساتذة:

- ١- الشيخ محمد أمين فوده مدرساً للعلوم الدينية
 - ٢- الشيخ محمد علي خوقير مدرساً للعلوم الدينية
 - ٣- الشيخ حسن كتبي مدرساً للعلوم الدينية
 - ٤- الأستاذ/ سليمان أباطة الأزهري مدرساً للعلوم الدينية، من مصر
 - ٥- الأستاذ/ حسن زكريا مدرساً لمواد اللغة العربية، من سوريا
 - ٦- الأستاذ/ سعدي ياسين مدرساً للأدب العربي، من سوريا
 - ٧- الأستاذ/ محمود الحمصي مدرساً للرياضيات والعلوم الاجتماعية^(١)، من سوريا
- كما تم تعيين الشيخ محمد بهجت البيطار ، من كبار العلماء السوريين ، مديراً للمعهد .

ومعروف بُعد المسافة وصعوبة المواصلات في تلك الحقبة، مما يعني أن استقدام الهيئة التدريسية كان مخططاً له في السابق، ولم يتم الإعلان عن الافتتاح إلا بعد اكتمال حضور الهيئة التدريسية من بلدانهم.

هذا بالإضافة إلى أن الخطة الدراسية كانت معدة قبل افتتاح المعهد، ويظهر ذلك من نوعية العلوم التي تقرر تدريسها للطلاب في المعهد، وتشمل: العلوم الدينية

(١) أحمد علي . ذكريات، ص ٧١، وعبدالله سعيد أبو راس، وبدر الدين الديب. الملك عبدالعزيز والتعليم - ١ - ط ١ - الرياض: شركة العبيكان للطباعة والنشر، ١٤٠٧هـ، ص ١٤٩ .

وهي: علوم القرآن مع تجويده، والحديث، والفقه، والتوحيد، وعلوم اللغة العربية وآدابها من نحو وصرف، وإملاء ومحفوظات، والمحادثة، والخطابة، وعلوم الرياضيات مثل: الحساب، ومسك الدفاتر، والعلوم الاجتماعية من تاريخ، وتقويم البلدان (جغرافيا)^(١).

وقد بدأت الدراسة بعد أسبوع من قيد أسماء الطلاب، وتم الاكتفاء بفصل دراسي واحد وضع فيه كل من تقدم من الطلاب للدراسة بالمعهد.

ويذكر الأستاذ أحمد علي: «أن الفصل كان يتكون من طلاب مختلفين في تحصيلهم العلمي؛ فمنهم من هو ذو مؤهلات عالية، ومتوسطة، ومنخفضة، ومن شبه أميين أو أميين بالفعل، ولذلك وجد الأساتذة لا سيما أساتذة الحساب، والإملاء، والإنشاء، والنحو صعوبة كبيرة في شرح دروسهم. لقد أراد أستاذ الحساب أن يسير بالطلاب في القواعد الأربع، فوجد من بين الطلاب من لا يفرق بين كتابة الواحد والاثني بالأرقام.. وهكذا بقية الأساتذة. أما الدروس الدينية فقد تدرج فيها الطلاب بكل قوة ونشاط، مما اضطر المدير إلى تقسيم الفصل إلى قسمين؛ فصل أول وثاني حسب قوة الطلاب، ولما كنت ضعيفاً في الحساب وعلوم البلاغة والفرائض اخترت الانتقال إلى السنة الأولى وجميع زملائي فيها من الإخوان كبار السن»^(٢).

ويظهر هنا أن التركيز في قبول الطلاب لئلا يتحاق بالمعهد في هذه المرحلة لا يحكمه سن معين، وكذلك فإن معرفة الطالب للمواد الدينية والإمام بالقراءة والكتابة هي الأساس في القبول، وذلك لأن تعليم الحساب وعلوم البلاغة لم يكن يلقي

(١) أحمد علي. ذكريات، ص ٧٢ - ٧٣، وأم القرى. العدد ٩٩ بتاريخ ٢٩/٤/١٣٤٥هـ.

(٢) أحمد علي. المصدر السابق، ص ٧١ - ٧٢.

الاهتمام الكبير من الطلاب، إلا لمن كانت لديه الرغبة في العمل بالتجارة، وهذا ما لاحظته في دراستي لتاريخ الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري. إن تعليم الحساب له كتاتيب خاصة وأساتذة لهم المعرفة التامة بهذا العلم. كما أن قيام المديرية العامة للمعارف باستقدام أساتذة من المتخصصين في العلوم، والرياضيات، واللغة العربية للتدريس في المعهد يؤكد ذلك.

على أن هذا لا يعني خلو المنطقة من أساتذة من الحجاز ممن لهم معرفة تامة بهذه العلوم، فلقد اشتهرت في مكة المكرمة مدارس مثل المدرسة الصولتية، والمدرسة الفخرية العثمانية، ومدرستي الفلاح بمكة وجدة، وبعض الكتاتيب التي اهتمت بتدريس الحساب، وكان الأستاذ محمد حلمي ممن يجيدون تعليم الخط، والحساب في كتابه، وغيره كثيرون من علماء الحرمين الشريفين والمساجد الأخرى في تلك الحقبة.

والدراسة بالمعهد صباحية، إلا أنه نظراً لصعوبة التحاق مجموعة من الموظفين بالدراسة الصباحية، فإنه تم في بداية شهر رجب افتتاح قسم ليلي خاص بالموظفين الذين لا تسمح لهم ظروف عملهم بالتحاق بالدراسة الصباحية. وكانت الدراسة في هذا القسم المسائي تبدأ من بعد صلاة المغرب لمدة ساعة، ثم تستأنف الدراسة بعد أداء صلاة العشاء لمدة ساعة أخرى^(١).

وقد استمرت الدراسة في المعهد بقسميه الصباحي والمسائي طوال شهري رجب وشعبان من عام ١٣٤٥هـ؛ إلا أنه مع حلول شهر رمضان بدأت أعداد الطلاب

(١) أم القرى . العدد ١١٠ بتاريخ ١٧/٧/١٣٤٥هـ.

في التناقص. يقول الأستاذ أحمد علي: «لقد انقطع جميع الإخوان وبقيت وحدي في السنة الأولى. مواظباً على الدروس التي يلقيها عليّ ثلاثة أو أربعة من الأساتذة في نوع من التذمر للحالة التي كانوا يرونها: أستاذ يلقي درسه من فوق منصة على طالب واحد أمامه!»^(١)، وهذا يبين لنا أن الفصول الدراسية كانت مجهزة بمقاعد ومنصة للأستاذ.

وهذا الأمر ليس غريباً أن تتوقف الدراسة في رمضان، وذلك لأن الناس في مكة والمدينة لم يتعودوا الدراسة الصباحية في رمضان؛ لأن هذا الشهر شهر الصيام، وقيام الليل بالصلاة والعبادة، وجرت العادة كما مرّ بي في دراستي للتعليم في الحرمين الشريفين، والمدارس، والكتاتيب المحيطة بهما أن الدراسة تتوقف عادة في شهر رمضان، وكذلك في موسم الحج، وأن الدراسة الفعلية لا تسير حسب الفصول، بل أن الدراسة تبدأ مع بداية شهر المحرم من كل عام، وتنتهي بنهاية شهر شعبان، مهما تنوعت الفصول السنوية، وأن الفترة الواقعة من بداية شهر رمضان حتى نهاية شهر ذي الحجة هي فترة إجازة حتى يتفرغ الآباء وأبنائهم لخدمة المعتمرين وحجاج بيت الله الحرام.

وقد خصصت حلقات الدراسة في الحرمين الشريفين بعد صلاة العصر، وبعد صلاة المغرب في رمضان، وتكون معظمها عادة لبيان الأحكام الشرعية الخاصة بالصيام. أما بالنسبة لموسم الحج، فنظراً لاكتظاظ الحرمين الشريفين بالحجاج، وانصراف معظم الشباب لخدمة الحجاج، وتسيير أمورهم، فإن أعداد حلقات الدرس تكون قليلة، ولعدد محدود من العلماء الكبار في الحرمين الشريفين،

(١) أحمد علي. ذكريات، ص ٧٢.

أو ممن أسعده الله بالحج من علماء المسلمين من مختلف أقطار المعمورة، وتتركز المحاضرات في النقاش العلمي بين مختلف كبار العلماء وطلابهم من داخل البلاد وخارجها؛ لتحقيق أكبر قدر ممكن من الفائدة بين علماء المسلمين الذين قدموا للحج من مشارق الأرض ومغاربها، والتقاءهم بعلماء الحرمين الشريفين^(١).

فبعد إجازة عيد الفطر لم يستمر التعليم في القسم الليلي طويلاً، فقد يتوقف نهائياً مع بداية عطلة عيد الفطر، وكذلك أخذ طلاب القسم النهاري يتناقصون يوماً بعد يوم، وفي نهاية العام (١٣٤٥هـ) أجري اختبار لمن بقي منهم، ثم أغلقت أبواب المعهد^(٢).

على أنه لم توجد وثيقة رسمية تؤكد إغلاق المعهد، وإن كان الأستاذ أحمد علي أشار في ذكرياته أنه عندما عاد بعد عيد الفطر التقى بمدير المعهد، فعبر له عن ألمه من نقص أعداد الطلاب، وقال له: «إن بقاء المعهد بالحالة التي رأيتها غير مجد، ولذلك قررت مديرية المعارف العامة إغلاق أبوابه مؤقتاً...»^(٣).

ويمكن اعتبار ما قاله المدير تصريحاً رسمياً بإيقاف الدراسة في نهاية العام ١٣٤٥هـ، وربما أن ما قاله الأستاذ أحمد علي سابقاً من إجراء اختبار لمن بقي من الطلاب في نهاية ذلك العام خاص بإجراء الاختبار وليس دليلاً على استمرار

(1) Abdullatif Dohaish. **History of Education in the Hijaz up 1925** (First Ede. Cairo, Dar al-Fikr. 1978).P:

(٢) عبدالرحمن صالح عبداللّٰه. تاريخ التعليم في مكة المكرمة - ٠ - ط ١ - القاهرة: دار الفكر، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م و ص ١٠٥ .

(٣) أبو راس، والديب، مرجع سابق، ص ١٥٠ نقلاً. وعبدالرحمن صالح عبداللّٰه. تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص ١٠٥ .

الدراسة في المعهد، وأن ذلك الاختبار بالتأكيد جرى قبل موسم الحج أو بعده، وقبل نهاية العام الهجري ١٣٤٥هـ.

ومن هنا ندرك مدى الصعوبات التي واجهت التجارب التعليمية الأولى للملك عبدالعزيز، ومدى إصراره -رحمه الله- على أن تستمر العملية التعليمية حتى تحقق أهدافها التي يريدها الملك لشعبه، وهذا ما يؤكد أن توحيد الملك عبدالعزيز للمملكة لم يكن بهدف أطماع سياسية، وإنما كان هدفه الأول هو تحقيق وحدة هذه الأمة، ونشر الأمن والاستقرار والعدل فيها، والاهتمام بالمواطن ثقافياً وحضارياً، والعمل على ما يحقق رقي الوطن وتطوره في جميع مجالات الحياة على أسس إسلامية.

وفي بداية عام ١٣٤٦هـ قررت مديرية المعارف إعادة افتتاح المعهد، حيث أعلن ذلك في جريدة أم القرى عن رغبة مديرية المعارف في بدء تسجيل الطلاب من جديد في المعهد^(١).

ويُفهم من هذا الإعلان أن المعهد أعيد افتتاحه، والتحق به عدد من الطلاب، كما أنه ورد في إحدى الوثائق الصادرة من المعهد في عام ١٣٤٦هـ إلى مخالفة ارتكبتها أحد طلاب المعهد، والعقوبة التي ترى مديرية المعارف إيقاعها بحق ذلك الطالب^(٢).

وفي ٢٧ المحرم ١٣٤٦هـ صدر مرسوم ملكي بتشكيل مجلس المعارف^(٣). وكان موضوع سير الدراسة بالمعهد الإسلامي وما يواجهه من صعوبات منذ تأسيسه من الموضوعات التي تم عرضها على المجلس في جلسته التي عقدها

(١) أم القرى . العدد ١٢٣ بتاريخ ١/١/١٣٤٦هـ.

(٢) هناء أيوب العوهلي . مديرية المعارف العامة وجهودها في تطور التعليم ١٣٤٩ - ١٣٧٣هـ، رسالة دكتوراة مقدمة من كلية الآداب للبنات بالرياض، ١٤٢٣هـ، ص ١٧٢ .

(٣) أم القرى . العدد ١٢٧ بتاريخ ٢٧ / المحرم ١٣٤٦هـ الموافق ٢٩/٧/١٩٢٧م.

صباح يوم الإثنين ٢٦ / جمادى الأولى ١٢٤٦هـ^(١).

وقد قام المجلس بدراسة ما تم عرضه عليه. وبعد المناقشة «والبحث في الوسائل التي يحصل بها تشويق الطلاب إلى الدخول في المعهد، وبعد أخذ ورد في الموضوع، ظهر أن الأسباب الداعية لقلّة التلاميذ في المعهد، وانصرافهم عن التعليم، مبنية على حالة أكثر أبناء البلاد من الفقر والحاجة، فإن معظمهم بعد إتمام الدروس ينصرفون إلى تأمين معاشهم لمساعدة أهلهم»، وخاصة في مواسم رمضان والحج، حيث يفد إلى مكة المكرمة أعداد كبيرة من المعتمرين والحجاج منذ مطلع شهر رمضان وحتى نهاية شهر ذي الحجة، نظراً لصعوبة المواصلات البرية والبحرية في تلك الفترة، وأن رحلة السفر إلى مكة تحتاج عدة أيام وربما عدة شهور.

ولذلك صدر قرار مجلس المعارف رقم (٢٦) والذي نصه: أن «خير وسيلة لتكثير الطلاب وحثهم على التعليم أن تخصص لكل تلميذ في المعهد ثلاثة قروش دارجة، ولرئيس الصف خمسة قروش لكل يوم مساعدة لهم وتشويقاً لغيرهم، وأن يخصص للناجح منهم من الدرجة الأولى مكافأة نجاحه ألف قرش، وللدرجة الثانية خمسمائة قرش»، وقد تكون هذه أول محاولة لتخصيص مكافأة ثابتة لطلاب العلم^(٢).

(١) وكان رئيس الجلسة هو وكيل مدير المعارف الشيخ ماجد الكردي، وحضرها مساعد الرئيس السيد محيي الدين بك صادق، وكل من السيد صالح شطا، والشيخ عبدالله حمدوه، والسيد عباس مالكي، والشيخ محمد علي خوقير. ملف المعهد، مركز المعلومات بوزارة المعارف، والذي نقلت جميع وثائقه إلى دارة الملك عبدالعزيز بالرياض. نقلاً عن عبدالله أبو راس، وبدر الدين الديب. الملك عبدالعزيز والتعليم، ص ١٥١.

(٢) أبو راس، المصدر السابق، ص ١٥١، وعبدالله بفدادي. الانطلاقة التعليمية في المملكة العربية السعودية - ط ٢ - جدة. دار الشروق، ١٤١٤هـ / ١٩٨٤م، ج ١ ص ٢٠٩ - ٢١٠.

لتشجيعهم على مواصلة دراستهم في بداية توحيد المملكة^(١).

إن هذا القرار لقي كل ترحيب وموافقة من ولاية الأمر في المملكة، فما أن رفع وكيل مدير المعارف العامة الأستاذ محمد ماجد كردي محضر أعضاء مجلس المعارف آنف الذكر إلى مقام النائب العام في الحجاز صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبدالعزيز حتى جاء الرد من سموه بتاريخ ١٣ / رجب ١٣٤٦ هـ بالموافقة، وكان شرحه: «إذا كان هذا يكفل المصلحة المطلوبة فلا بأس بذلك»^(٢).

ولكن بالرغم من ذلك فإن الدراسة بالمعهد ما زالت متوقفة حتى نهاية عام ١٣٤٦ هـ، وذلك نظراً لقلة إقبال الطلاب على الدراسة فيه، ولعل ذلك لم يكن بسبب المكافأة التشجيعية، بل ربما يعود ذلك إلى أن المواد الدراسية المقررة فيه ذات اختصاصات عالية ومتعددة، لم يألفها الطلاب من قبل^(٣)، وخاصة ما أدخل عليهم من مواد علمية مثل الرياضيات، والعلوم، وإلزام الطالب بدراستها؛ لأنها جزء من المنهج الدراسي؛ بالإضافة إلى جدية الدراسة، رغبة من المدرسين في حصول الطلاب على كل ما يفيدهم من علوم نافعة حسب المنهج المقرر.

إن توقف الدراسة بالمعهد كان مصدر قلق للمسؤولين في مديرية المعارف العامة، ومحل استفسار ومتابعة من الملك عبدالعزيز -رحمه الله-، ولذلك قام مدير

(١) خطاب وكيل مدير المعارف العامة الأستاذ ماجد كردي رقم ٤٣٢ وتاريخ ١٣٤٦/٦/٦ هـ الموافق ١٩٢٧/١١/٣٠ م.

(٢) وثائق المعهد العلمي السعودي رقم ٢١٧ . دار الملك عبدالعزيز بالرياض برقم (٥٥٢٤) وتاريخ ١٣٤٦/٧/١٣ هـ.

(٣) خالد سليمان العاصم. التعليم في المملكة العربية السعودية - ١ - ط ١ - الرياض: مطابع طيبة، ١٤١٣ هـ، ص ٨ .

المعارف الشيخ حافظ وهبة^(١) بعرض الأمر على الملك عبدالعزيز، الذي استحسن عرضه على مجلس المعارف. وبناءً على ذلك عقد مجلس المعارف جلسة خاصة للنظر في عدم استمرار الدراسة بالمعهد، وذلك في يوم السبت التاسع عشر من المحرم ١٣٤٧هـ الموافق السابع من يولييه ١٩٢٨م، ورأس المجلس مدير عام المعارف الشيخ حافظ وهبة، وحضره معاونه الشيخ محمد أمين فوده، ومدير المعهد الشيخ محمد بهجت البيطار، والأساتذة محمد نور فطاني، ومحمد حامد الفقي، ومحمد ماجد كردي، وبقية أعضاء المجلس. وفي نهاية الاجتماع قرر المجلس إعادة تنظيم الدراسة بالمعهد على أن يتم تقسيم الطلاب إلى قسمين؛ القسم الأول يقبل فيه الطلاب القادمون من خارج مكة المكرمة، في حدود عشرين طالباً، على أن يوفر لهم مسكن خاص، وإطعامهم يومياً، مع توفير كسوة لهم مرتين في السنة على نفقة الدولة، وأن يعطى كل تلميذ نصف جنيه ذهباً^(٢)، مساعدة شهرية. والقسم الثاني يضم الطلاب من سكان مكة المكرمة، ويمنح فيه الطالب مساعدة شهرية قدرها جنيهان، ويقبل فيه في حدود عشرين طالباً، على أن يقدم لكل طالب في القسمين كل ما يلزمهم من كتب ومستلزمات كتابية من أقلام وذلك على نفقة الدولة^(٣).

(١) تولى الشيخ حافظ وهبة مديرية المعارف بعد الشيخ محمد ماجد كردي سنة ١٣٤٧هـ، واستمر مديراً للمعارف حتى سنة ١٣٤٩هـ، انظر: عبداللطيف ابن دهيش: التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبدالعزيز، ص ٣٢ - ٣٧.

(٢) هو جنيه من الذهب الخالص عيار ٢٤ باسم جورج الإنجليزي، وقيمته آنذاك حوالي (١١٠) قرش أميرى. انظر: قرار مجلس الشورى رقم ٥١٧٧ في تاريخ ١٣٤٦/٨/٨هـ.

(٣) محضر الاجتماع الأول لمجلس المعارف لعام ١٣٤٧هـ؛ وثائق المعهد العلمي السعودي. دار الملك عبدالعزيز بالرياض، ملفات خاصة بالمعهد.

كما تقرر تكوين لجنة من أساتذة المعهد لتحديد المنهج الدراسي على أن يشمل ذلك أسماء المواد المقرر تدريسها للطلاب والكتب التي يمكن الاستعانة بها في تدريس المواد .

وعندما عرض الشيخ حافظ وهبة على الملك عبدالعزيز قرارات المجلس ومنها قرار تقسيم طلاب المعهد العلمي إلى قسمين، وافق الملك على قرارات المجلس؛ إلا أنه استحسن الاكتفاء بتدريس الطلاب فقط، ودفع مكافأة مجزية لهم^(١) وعلى من يفد من خارج مكة المكرمة أن يتدبر أمر سكنه بمساعدة إدارة المعهد إذا لزم الأمر.

وفي الجلسة الثانية لمجلس المعارف والتي عقدت يوم السبت ٢٦ / المحرم ١٣٤٧هـ الموافق ١٤ يولييه ١٩٢٨م بمكة المكرمة، أي بعد أسبوع من الاجتماع الأول برئاسة الشيخ حافظ وهبة وعضوية المشائخ السابق ذكرهم، أقر المجلس المواد الدراسية المقرر تدريسها في المعهد والتي قررتها اللجنة المختصة بدراسة المنهج الدراسي للمعهد، وهذه المواد هي القرآن الكريم وتفسيره، والحديث، والفقه، والتوحيد، واللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة، والحساب، والهندسة، والعلوم (خواص الأجسام وسنن الكائنات)، ومسك الدفاتر، والتاريخ، والجغرافيا، وآداب اللغة العربية من خطابة وإنشاء وإملاء وحسن الخط، واللغة الأجنبية، والتربية العملية والنظرية. وأقر المجلس أيضاً التوصية باستقدام أساتذة من مصر وسوريا، من المتخصصين في علم التربية والتعليم، وخواص الأجسام، واللغة الإنجليزية، وآداب اللغة العربية، والعلوم الاجتماعية من تاريخ وجغرافيا حسب الحاجة، وذلك

(١) أبو راس، المصدر السابق، ص ١٥٣ - ١٥٤ .

لتدريس تلك المواد، على أن لا تقل درجتهم العلمية عن الشهادة الجامعية في التخصص نفسه، ويفضل من له خبرة طويلة في مجال التدريس بعد التخرج من الجامعة في مؤسسات تعليمية مشابهة^(١).

ويلاحظ هنا تعدد المواد الدراسية التي قرر مجلس المعارف تدريسها لطلاب المعهد، وقد شملت مواد دينية، واجتماعية، واللغة العربية وآدابها، وهي مواد يتم تدريسها في المدارس الخاصة وحلقات المسجد الحرام بطريقة أوسع. أما بالنسبة للمواد العلمية مثل الرياضيات، والعلوم، والتربية العملية، واللغة الإنجليزية فهي مواد ربما قررت لأول مرة في تاريخ التعليم في المملكة، كما أنه سبق في الخطة الدراسية السابقة للمعهد تقرير مادتي سنن الكائنات (العلوم)، واللغة الفرنسية، إلا أنهما حذفتا من هذا المنهج الجديد للمعهد. ويظهر أن سبب حذفهما هو عدم رغبة الطلاب في دراستهما لصعوبتهما، وقد طلب مجلس المعارف اختيار هيئة تدريسية متخصصة لتدريس المواد العلمية واللغة الإنجليزية التي تقرر تدريسها بالمعهد، ولو دعت الحاجة للاستقدام من خارج المملكة. وقد أقرّ الملك عبدالعزيز تلك القرارات وأمر بتنفيذها فوراً. وهذا يدل على اهتمامه رحمه الله بتطوير التعليم في المملكة وجعله في مستوى موازٍ - إن لم يكن أفضل - لما يتم تدريسه في البلاد العربية المجاورة وخاصة مصر وسوريا.

كما أن مجلس المعارف واصل جلساته فقرر في جلسة لاحقة الكتب التي يجب أن تدرّس في كل مادة، وكيفية الحصول عليها، وطريقة تقسيمها على السنوات

(١) قرارات مجلس المعارف، وثائق المعهد العلمي السعودي (رقم ٤١٧). دارة الملك عبدالعزيز بالرياض. وأبو راس والديب، المصدر السابق، ص ١٥٣ - ١٥٤.

الدراسية الثلاث بالمعهد، بحيث تحقق الفائدة العلمية المطلوبة للطالب^(١). وكان الملك عبدالعزيز يتابع باهتمام بالغ ومتواصل كل ما يصدره مجلس المعارف من قرارات حول إعادة تنظيم الدراسة بالمعهد والمنهج الدراسي الجديد؛ ولذلك أصدر توجيهاته بالموافقة على إعادة افتتاحه باسم «المعهد العلمي السعودي»، وقد جاءت هذه التوجيهات السامية امتداداً لقرارات سابقة فهو الذي شارك مشاركة مباشرة في تأسيس المعهد واختيار مديره وأساتذته منذ البداية، كما وافق هذه المرة على التوصية بالتعاقد مع عددٍ من الأساتذة المتخصصين من مصر وسوريا، للقيام بتدريس العلوم والرياضيات، واللغة الإنجليزية. ونتيجة للتوجيهات الملكية، فإن مدير المعارف الشيخ حافظ وهبة قام بإرسال رسالة إلى صاحب السمو الملكي الأمير فيصل النائب في الحجاز بتاريخ ٢٧ / المحرم ١٣٤٧هـ الموافق ١٤ / يولييه ١٩٢٨م أرفق بها الإعلان المطلوب نشره في الجريدة الرسمية عن افتتاح المعهد العلمي، ملتمساً سموه الأمر بإرسال نسخة منه إلى جريدة أم القرى لإعلانه، فصدرت الموافقة السامية من سموه في الثاني من صفر عام ١٣٤٧هـ الموافق ١٩ / يولييه ١٩٢٨م بإعلانه في الجريدة الرسمية أم القرى، وجاء نص الإعلان كالتالي:

«تعلن إدارة المعارف العمومية أنها قد اعتزمت بعونه تعالى على فتح المعهد العلمي السعودي لتلقي الفنون التي تؤهل الطالب لأن يكون أستاذاً في المدارس الأميرية في مدة ثلاث سنوات، وأن يخصص لكل طالب إعانة شهرية جنيهان، تنشيطاً له ومساعدة لحاله، وأن العدد المحدد قبوله من الطلاب هو (أربعون) طالباً،

(١) عبداللطيف ابن دهيش . التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبدالعزيز، ص ٧٠ .

على أن يكون كل طالب متصفاً بما يأتي :

١- أن يكون ملماً بقسم العبادات.

٢- أن يكون عارفاً بقواعد اللغة العربية البسيطة.

٣- أن يكون ملماً بالإملاء والخط والحساب إلى الأعمال الأربعة.

فعلى من يرغب في الانتظام في سلك الطالبين أن يراجع إدارة المعارف العامة من تاريخ الإعلان إلى يوم (٢٠) صفر سنة ١٣٤٧هـ لقيده اسمه ضمن الطالبين، ولذلك صار الإعلان^(١).

ويتضح من الإعلان أن مدة الدراسة بالمعهد هي ثلاث سنوات دراسية، وليس هناك شروط بحصول الطالب على شهادة دراسية معينة، وإنما عليه أن يكون ملماً بأمور العبادات، ومبادئ اللغة العربية، والإملاء، والخط، ومبادئ الحساب، وأنه بعد تخرجه سوف يلتحق بالتدريس في المدارس الأميرية التي تحول اسمها فيما بعد إلى المدارس الابتدائية.. فمهمة المعهد هنا هي تخريج معلمين للتدريس في المدارس الأولية الحكومية. كذلك يلاحظ أن الدراسة اختصرت على تدريس الطلاب مع عدم الالتزام بتوفير مسكن أو طعام لهم، بل يخصص لكل طالب مكافأة شهرية مقدارها جنيهان ذهباً، تدفع للطالب من خزانة الدولة لتشجيعه على مواصلة دراسته في المعهد، ومنها يستطيع تدبير سكنه ومأكله، وهذا المبلغ - على ما يبدو - كان كافياً لإعاشة الطالب وحصوله على سكن مناسب والتوفير لإرسال جزء منه لعائلته حسب الأسعار الموجودة في تلك الحقبة.

(١) انظر : الوثيقتان المنشورتان في كتاب عبد اللطيف عبد الله ابن دهيش. التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبدالعزيز، ص ١٥٣ - ١٥٤ .

وبذلك تم قبول الطلاب الذين توافرت فيهم شروط التحصيل العلمي المطلوبة، ممن سبق لهم الدراسة الأولية في حلقات المسجد الحرام، أو في المدارس الحكومية أو المدارس الخاصة الموجودة في مكة وذلك بعد أن تم إجراء المقابلة الشخصية لهم، للتأكد من مناسبة مستواهم العلمي ومطابقة ذلك للشروط المطلوبة في الإعلان.

ويظهر أن الإقبال على الدراسة هذه المرة كان جيداً، حيث إنه تم قبول أكثر من عشرين طالباً بوصفهم دفعة أولى؛ بدليل بدء الدراسة الفعلية في المعهد منذ يوم السبت ١٧ ربيع الأول عام ١٣٤٧هـ الموافق الأول من سبتمبر ١٩٢٨م. وقد استمر الشيخ محمد بهجت البيطار مديراً للمعهد عند افتتاحه للمرة الثانية، وخصص له راتب شهري مقداره ألف وثمانمائة وسبعون قرشاً أميرياً^(١). ولم تكن هناك في البداية خطة واضحة للدراسة في السنة الأولى في ذلك العام ١٣٤٧هـ، بل تم تدريس المبادئ الأولية للمواد الدراسية المقررة وذلك رغبة من إدارة المعهد في أن يتم التدرج في تطبيق الخطة الدراسية الموضوعية من اللجنة المختصة، وذلك بعد نجاح الدفعة الأولى من الطلاب وانتقالهم للسنة الدراسية الثانية منه، ويظهر لنا أن البداية كانت جيدة وموفقة وواضحة الخطوات؛ بدليل استمرار الدراسة في العام التالي من المحرم سنة ١٣٤٨هـ، فلقد تم فتح فصل ثانٍ نقل إليه الطلاب الذين أتموا تعليمهم في الصف الأول في العام السابق، وفي الوقت نفسه خصص الفصل الأول للطلاب المستجدين الذين التحقوا بالدراسة في المعهد في ذلك العام.

ويحدثنا الشيخ حمد الجاسر عن ذكريات المعهد: إنه في حج عام ١٣٤٨هـ

(١) ملف وثائق المعهد العلمي السعودي رقم ٤١٧، المحفوظة سابقاً بإدارة التطوير التربوي، ثم انتقلت هذه الوثائق فيما بعد إلى دارة الملك عبدالعزيز بالرياض.

رأى الملك عبدالعزيز ومستشاروه المخلصون أن هذا المعهد لا يمكن أن يؤدي النتيجة المرجوة منه حتى يلتحق به عدد من أبناء المناطق الأخرى في الدولة، فما كان منه إلا أن أمر بإحضار عدد من الطلاب من شباب نجد .

ولذلك أصدر الملك أمره السامي الكريم بتكوين لجنة من المختصين لزيارة بعض المدن والقرى في نجد لاختيار الطلاب الذين تنطبق عليهم شروط القبول للدراسة بالمعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة في حدود عشرين طالباً، وإرسالهم إلى مكة المكرمة على نفقة الدولة، وقد قامت اللجنة باختيار عدد من الطلاب ممن قبلوا السفر إلى مكة المكرمة والدراسة بالمعهد، وتم تجهيزهم وإرسالهم إلى مكة المكرمة، وقد سرَّ الملك عبدالعزيز عندما علم بوصولهم، ودعاهم لمقابلته في قصره العامر بمكة المكرمة، وقد كان الشيخ حمد الجاسر أحد هؤلاء الطلاب الذين تم اختيارهم للدراسة بالمعهد من نجد في ذلك العام.

ويصف لنا الشيخ حمد الجاسر هذه المقابلة بقوله: «كان ذلك في اليوم السابع عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٤٨هـ، حيث دعينا أنا وزملائي إلى قصر الملك عبدالعزيز رحمه الله، الذي كان يسكنه وهو قصر السقاف بأعلى مكة (في حي المعابدة).

وكان ذلك اليوم يوم الثلاثاء - إن لم تخني الذاكرة -، وكان عددنا يناهز العشرة من الطلاب، فلما أدخلنا على الملك في مجلسه، وكان وزير المالية معالي الشيخ عبدالله السليمان يجلس على مقربة منه، وسماحة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة يجلس على يمينه، وكان مجلسه في الدور الأول من قصره، وبعد السلام عليه أجلسنا على يمينه وعلى يساره في المجلس، فالتفت إلينا وقال ما

معناه: أحضرناكم لكي ندخلكم المعهد لتتعلموا لعل الله أن ينفع بكم بلادكم وأمتكم. وهذا الشيخ عبدالله بن حسن، وكيل علي عليكم، لئلا يحصل منكم قصور، وقد أمرنا بكل ما يلزم لكم، والشيخ عبدالله إذا لاحظ أي شيء قاصر عليكم فأنا أتمم ما يقصر، وبعد أن قال هذه الكلمة وأردنا أن نودعه وأن نخرج، قال بعض من الإخوة: أهلنا في الرياض، ونريد لهم مصاريف (بهذه اللهجة). فما كان من الملك رحمه الله إلا أن غضب وقال: أحضرتكم لكي أدخلكم لتتعلموا لعل الله ينفع بكم، وتشتربون علي... قوموا اخرجوا، وأخرجنا من المجلس...»^(١).

هذه القصة التي أوردها الشيخ حمد الجاسر، تبين لنا مدى حرص الملك عبدالعزيز على أن يشمل التعليم جميع أبناء المملكة، وأن لا تكون هناك شروط يفرضها الطلاب من أجل تعليمهم؛ لأن المصلحة أولاً وآخرها هي لفائدتهم، كما أن الدولة خصصت لهم مكافأة تسد حاجتهم لتأمين إعاشتهم وسكناهم، وتعهدت بتوفير احتياجاتهم من لوازم مكتبية وكتب دراسية مع مجانية التعليم، فلماذا الاستعجال من بعض الطلاب لمثل هذه المطالب؟ لقد كان بإمكانهم تأجيل مثل هذه الطلبات إلى وقت آخر، فالملك لم يتردد في يوم من الأيام من تلبية احتياجات المواطن، وتوفير العيش الرغيد له في أمن واستقرار.

لقد كان الشيخ حمد الجاسر حكيماً في معالجة الموقف، فتصرف بعقلانية وأدب جم، إدراكاً منه بأهمية التعليم، وحرصاً منه على أن لا تضيق فرصة التعليم عليه وعلى زملائه، تحقيقاً لرغبة الملك عبدالعزيز الذي كان حريصاً على نشر العلم

(١) مقال في مجلة اليمامة بعنوان: (رحلة في عقل الجاسر) من إعداد عبدالله الصيخان، العدد (٥٦٨)، السنة ١٣، ٣٠ شوال ١٣٩٩هـ / ٢١ سبتمبر ١٩٧٩م، ص ٢٦ - ٣١.

بين أبناء شعبه، حيث أعلنها حرباً على الجهل والفقر والمرض، مهما كلف الدولة من مال، بالرغم من قلة موارد الدولة في تلك الحقبة.

ولذلك نجد أن الشيخ حمد يستطرد فيقول: «وبعد أن خرجنا من القصر، وقفت مع بعض الإخوان منهم: عبدالعزيز بن صالح الداوي من أهل الرياض، وسعد ابن حجر البواردي من أهل شقراء -رحمهما الله-، وإبراهيم بن محمد جهيمان من أهل القراين، وتحدثت معهم، وقلت لهم ما رأيكم أن نكتب كتاباً إلى الملك نشكره، ونطلب منه أن يلحقنا بالمعهد، وكتبت كتاباً وقعته باسمهم، وذهبت به في اليوم التالي وقدمته إلى رئيس المراسم في ذلك الوقت إبراهيم بن جميلة، وبعد ثلاثة أيام كنت جالساً في دكان في الجودرية لرجل يدعى الفريح، وكانت الكتب التي ترد من نجد ولا يعرف أصحابها توضع عنده، فكنت في بعض المرات أُمّر وأجلس عنده، فما شعرت ذلك اليوم وأنا عنده إلا بشرطي يقف عنده ويسأل: أتعرف حمد الجاسر؟ فذهبت معه ولا أدري ماذا يريد وإلى أين سوف أذهب!.. ونزلنا مع شارع المدعي حتى دخل الحرم، فأحسست بشيء من الاطمئنان، ثم صحبني إلى الداودية وهي مدرسة تطل على المسجد الحرام، هي مقر رئيس القضاة في ذلك الوقت، وهو الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ، فأدخلني عليه، فلما سلمت عليه لم يكن هناك معرفة.. قال لي: أنت كتبت للملك؟ فقلت: نعم ومعني إخوة آخرون، فقال غداً الساعة الثالثة^(١) احضرهم عندي، ذهبت إليهم، بعضهم خاف، ولم يحضر معي سوى اثنين، أتيت إليه وقلت له: الناس في الحج ولا أعرف أين مساكن الإخوان سوى

(١) الساعة الثالثة صباحاً بالتوقيت الغربي، أي حوالي الساعة الثامنة صباحاً بالتوقيت الزوالي.

هذين. وهؤلاء الذين وجدتهم، وذهبنا إلى الملك وسلمنا عليه، فرحبَ بنا وتحدث معنا حديثاً أبويّاً كله حرص ومحبة، وكان مما قال بعد أن دعا لنا بالبركة: وهذا الشيخ عبدالله يلاحظكم. فعلاً أدخلنا المعهد، وكان دخولنا للمعهد في المحرم سنة ١٣٤٩هـ^(١).

وفي صباح يوم الأحد ٢٩ شعبان ١٣٤٩هـ أقام المعهد العلمي السعودي حفلة على شرف صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبدالعزيز النائب العام لجلالة الملك عبدالعزيز في الحجاز ووزير الخارجية. وفي ذلك اليوم لبس المعهد حلّة فاخرة من الزينة البديعة ابتهاجاً بزيارة سموه، فرفعت عليه الأعلام السعودية الخضراء، وأحيطت ساحته الخارجية بأعمدة الزينة المفوفة بالقماش الأخضر والأبيض مكسية أعلاها بأنواع من الزينة المختلفة. أما داخل المعهد فقد فرش بالسجاد الفاخر في شكل جميل غاية في الإبداع والتناسق.

وعند مدخل المعهد وقف الطلاب صفوفاً متقابلة على جانبي الشارع الذي يقع عليه المعهد في القشاشية بجوار مبنى مديرية المعارف تتقدمهم ثلة من جنود حرس الشرف لأداء التحية العسكرية، وأمام المعهد وقف مدير المعهد وأعضاء هيئة التدريس والإدارة بالمعهد.

وفي تمام الساعة الخامسة صباحاً بالتوقيت الغروبي الموافق الساعة العاشرة صباحاً بالتوقيت الزوالي شرف سمو الأمير فيصل المعهد، فاستقبله مدير المعارف العامة، ومدير المعهد وأعضاء الهيئة التدريسية والإدارية بالمعهد، فصافحهم سموه فرداً فرداً ببشاشته المعهودة، ثم أدت فرقة حرس الشرف التحية العسكرية اللازمة،

(١) مجلة المنهل . رحلة في عقل الجاسر، العدد ٥٦٨ ، السنة ١٣ ، ٣ شوال ١٣٩٩هـ، ص ٢٧ .

فارتفعت أصوات الطلبة بالهتاف بدوام حياة الملك عبدالعزيز المعظم وولي عهده وسمو نائبه المبجل، وأخذوا في ترديد الأناشيد الترحيبية بمقدم سمو الأمير فيصل، وكان لذلك الترحيب والهتاف أثره البالغ في نفوس الحضور.

وبعد أن أخذ الأمير مكانه في صدر السراشق المعد أمام بوابة المعهد قدمت القهوة العربية، ثم ابتداءً الحفل بتلاوة أحد الطلاب آيات من الذكر الحكيم، فكلمة ترحيبية لمدير المعارف الشيخ إبراهيم الشورى شرح فيها حال المعهد وتقدمه ونجاحه وهنا سمو الأمير بتنفيذ الإرادة السنية التي صدرت بإنشاء المعهد، حيث أصبح يمر بالسنة الثالثة من تأسيسه، وهذه السنة (١٣٤٩هـ) سوف يتم في شهر رمضان تخريج أول دفعة من طلاب المعهد الذين أتموا دراستهم فيه، وختم الشيخ الشورى كلمته بالدعاء للملك عبدالعزيز وولي عهده وسمو نائبه، ثم عقبه الشيخ محمد صادق الكردي المدرس بالمعهد فألقى بالنيابة عن إخوانه أعضاء هيئة التدريس والإدارة بالمعهد كلمة رحب فيها بالأمير والحضور، وتلاه الشيخ عبدالمنعم الدسوقي مدرس اللغة الإنجليزية، ثم ألقى الشيخ محمد بن علي البيز المدرس بالمعهد قصيدة عصماء، ثم جاء دور التلاميذ، فتقدم الطالب يسن فطاني، ثم الطالب علي الألفي، ثم الطالب عبدالله السعد فألقى كل واحد منهم كلمة ترحيبية بالأمير والحضور.

وأثناء ذلك قدمت لسموه المرطبات، ثم انتقل الأمير فيصل لتفقد حجرات الدراسة بعد أن أخذ الطلاب والأساتذة أماكنهم في فصول الدراسة، وأخذ الأمير يدخل الفصول الدراسية الثلاثة ويستمع من الأساتذة جانباً من دروسهم للطلاب.

وبعد انتهاء جولة سموه الكريم على الفصول الدراسية واطمأن على سير الدراسة بالمعهد وانتظام الطلاب في فصولهم تناول سموه الكريم القهوة العربية، ثم ألقى طلاب الصف الثالث كلمات معبرة باللغة الإنجليزية للترحيب بسمو الأمير، ثم اختتم الحفل بتلاوة من آيات الذكر الحكيم وقدمت أطباق الحلوى المكية.

وقبل مغادرة سمو الأمير فيصل مكان الحفل وجه شكره وتقديره لمدير المعهد والأساتذة والإداريين على ما قاموا به من جهود عظيمة في تنظيم المعهد، ونصح أبناء الطلاب بضرورة طلب العلم وسلامة المنهج والتمسك بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، ثم غادر سموه الكريم مكان الحفل بمثل ما استقبل به من حفاوة وهتافات الترحيب تشق عنان السماء من الطلاب والمواطنين الذين أحاطوا بسيارة سموه في جميع الطرقات التي سلكها موكبه الميمون إلى قصر النيابة العامة قبيل صلاة الظهر^(١).

وفي شهر رمضان من عام ١٣٤٩هـ وقبل الإجازة الرسمية للدارسين بالمعهد جرى الاحتفال بتخريج أول دفعة من المعهد، وبلغ عددهم ثلاثة وعشرين طالباً، وهم الطلاب الذين التحقوا بالمعهد في السنة الأولى من افتتاحه في عام ١٣٤٧هـ بعد دراسة استمرت ثلاثة أعوام^(٢). وقد صدرت الأوامر بتعيين تلك الدفعة من طلاب المعهد في سلك التعليم.

واحتفاءً بهذه المناسبة العلمية، فإن مدير المعهد الشيخ محمد بهجت البيطار

(١) أم القرى. العدد ٢٢ الصادر في يوم الجمعة الرابع من رمضان ١٣٤٩هـ الموافق ٢٣ يناير ١٩٣١م.

(٢) أحمد علي. ذكريات، ص ٨٠.

جمع طلاب الدفعة الأولى من خريجي المعهد الثلاثة والعشرين، والهيئة التدريسية بالمعهد وذهب معهم إلى القصر الملكي بالسقاف بمكة المكرمة بتاريخ اليوم السابع من صفر عام ١٣٥٠هـ الموافق ٢٣ / يونيه ١٩٣١م وذلك للسلام على الملك عبدالعزيز. ويصف لنا الأستاذ أحمد علي - الذي كان أحد خريجي المعهد في تلك الدفعة - ما حدث عند مقابلتهم للملك عبدالعزيز، فيقول:

«وعندما استؤذن لنا للدخول، سرّ جلالته.. وأذن لنا جميعاً بالدخول، فدخلنا، وسلمنا، وارتجل فضيلة الشيخ محمد بهجت البيطار كلمة مناسبة للمقام، أشاد فيها بأيدي جلالته على المعهد الذي يضم طائفة صالحة من شباب البلد، وقدمنا فضيلته إلى جلالته فرداً فرداً كأول ثمرة من ثمرات المعهد»^(١).

ويمثل هذا الاحتفال دلالة كبيرة لاهتمام أكبر سلطة في الدولة وهو الملك عبدالعزيز بالثمرة الأولى لأول مؤسسة تعليمية نظامية لما بعد المدارس الابتدائية والأولية، ولم تكن الفرحة غامرة طلاب المعهد فقط، بل إن مدير المعهد وإدارته ورجال التعليم في الدولة كانوا جميعاً في فرحة عظيمة، كما كان للكلمة العظيمة التي ألقاها الملك عظيم الأثر في نفوس الجميع، والتي أكد فيها على قيمة العمل العليا وصلة العمل بالعلم مبيناً نعمة الإسلام في ذلك، وموضحاً لما يجب أن يكون عليه موقف أبنائه من بهرج مدينة الغرب، مما جعل خطابه هذا خطاباً فريداً ووثيقة مهمة من وثائق التعليم وسياسته في المملكة^(٢)، وقد جاء في كلمة الملك ما يلي:

(١) أحمد علي : المرجع السابق ، ص ٨٠ .

(٢) أبو راس والديب ، المصدر السابق، ص ١٥٩ .

«أيها الأبناء :

إنكم أول ثمرة من غرسنا بالمعهد، فاعرفوا قدر ما تلقيتموه من العلم، واعلموا أن العلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر وأن العلم كما يكون عوناً لصاحبه يكون عوناً عليه.

فمن عمل به كان عوناً له، ومن لم يعمل به كان عوناً عليه، وليس من يعلم كمن لا يعلم، قليل من العلم يبارك فيه خير من كثير لا يبارك فيه، والبركة في العمل. من الناس - وكثيرٌ هم - من يعجب قوله، فيأخذ السامع بزخرف القول إلى حد بعيد، ويأتي في حديثه بأساليب تسحر، مصوغة في قالب يبهر العقول، وفي الجرائد اليومية والمجلات الشهرية شيء كثير من ذلك، وفي الصحف السيارة ما يصور للقارئ إن قسماً من الناس قطع في مضمار العلوم، ولا سيما الكونية منها شوطاً بعيداً، لو حاولتم الوصول إليه في عشرات السنين لما وصلتكم نصف المرحلة التي قطعوها، ولكن ماذا كان هذا العلم الوفير؟ لا ترى إلا أحزاباً يضرب بعضها بعضاً، ولا تسمع إلا عويلاً يصم الآذان، وهم بيد غيرهم كفتا ميزان يعلي هذا تارة ويسفل هذا تارة أخرى، علم ولكن بالأقوال وعمل ولكن من غير النافع. وأن ما أصاب هؤلاء هو من جراء تخاذلهم وعدولهم عن الصراط المستقيم الذي شرحه الله تعالى في كتابه، وعلى لسان صفوة خلقه ﷺ.

جهلوا تعاليم الإسلام الحق، وبهرتهم المدنية الغربية فنظروا إلى كل ما يصدر من الغرب نظرة إكبار، فأرادوا محاكاته وحبذا لو حاكوه فيما يعلي من شأنهم، أرادوا محاكاته، بل حاكوه فعلاً، ولكن فيما يثن منه عقلاؤهم.

بعث صفوة الخلق، اللهم صلّ وسلم عليه، من العرب، ونزل عليه أمين السماء

في بلاد العرب، بقرآن عربي غير ذي عوج، لنعرف قدر ذلك ولنحتفظ بديننا ولغتنا وبلادنا ولنحبها حباً جماً.

لا مانع من أن نأخذ من غيرنا المفيد، فالحكمة ضالة المؤمن، يلتقطها حيث وجدها، وقد كان للعرب في جاهليتها خصال حميدة وكان لغيرهم أيضاً، فجاء الإسلام فأقرها.

قال صفوة الخلق، اللهم صلّ وسلم عليه: «بعثت لأتتم مكارم الأخلاق»، وقال: «ولدت في زمن الملك العادل»، حافظوا على تعاليم دينكم ولا شك أنكم قرأتم وللّه الحمد والمنة، شيئاً كثيراً منها، أرجو من الله أن ينفعنا وإياكم به، وأقول لكم والله ثم والله ثم والله ما حرمت الشريعة شيئاً فيه نفعنا ولا أحلت شيئاً فيه ضرنا، وأن النظرة السليمة لتدرك ذلك...

اعلموا أن الناس لو كانوا جميعاً على قلب أكفر رجل لما ضرروا الله شيئاً، ولو كانوا على قلب أتقى رجل لما نفعوا الله شيئاً، إن الله لغني عن العالمين.

انظروا إلى نعم الله... هل فاضل في أحكامه بين غني وفقير؟ فأوجب على الثاني الصلاة - مثلاً -، وترك الأول.. وهل أباح للأول ما حرمه على الثاني من المسكرات مثلاً؟ لا.. لا تفاضل إلا بالتقوى: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم».. لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى.. كلكم لآدم وآدم من تراب».. سوى بينكم وأكبر من شأنكم فأمر ألا تعبدوا إلا واحداً، ولا تخافوا إلا واحداً، ولا تسألوا إلا واحداً، ومعلوم أن أرباب النفوس العالية إذا كان لها عند ملك من الملوك حاجة تحب أن تدلي بحاجتها إلى الملك بلا واسطة، والله يأمر عباده أن يسألوه بلا واسطة. ولا شك في أن هذا - أي عدم الواسطة - تكريم لك أيها الإنسان.

أبنائي : «لقد منَّ الله عليكم وأرشدكم إلى طريق الخير فاعملوا إنا لعملكم
لمنتظرون.. والله ولي التوفيق»^(١).

وقد كان لهذه الكلمة السامية أثرها العميق في نفوس جميع الطلاب، وكانت
حافزاً كبيراً لهم على مواصلة العلم، والعمل بكل جدٍّ واجتهاد، كما أنها تعتبر وثيقة
تاريخية مهمة تدل على تشجيع جلالة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - لطلاب العلم
واهتمامه البالغ بالتعليم ونشره في ربوع المملكة.. ولم يكتفِ الملك عبدالعزيز بهذه
الكلمة الوافية، بل إنه في الوقت نفسه أمر بتعيين الطلاب الذين تم تخرجهم من
المعهد في الوظائف التعليمية والإدارية المناسبة في أجهزة الدولة، وصرف المرتبات
الشهرية لهم تشجيعاً لهم، وحث غيرهم على مواصلة تعليمهم.

وفي نهاية عام ١٣٥٢هـ تخرج الشيخ حمد الجاسر من المعهد، ويقول في
ذلك: «استمرت دراستنا في المعهد حتى أكملنا الدراسة وتخرجت بعد أربع سنوات
دراسية بعد أن زيدت سنوات الدراسة بالمعهد إلى أربع سنوات، - فلقد كان دخول
الشيخ حمد الجاسر للمعهد في عام ١٣٤٩هـ كما مرَّ بنا - فمننا من تولى القضاء،
ومنا من عمل بالتدريس والوعظ، وصار منهم من تولى مراتب عالية في الدولة فيما
بعد، وفي الواقع، فإن هذا من أيادي الملك عبدالعزيز البيضاء عليّ - رحمه الله -
لذلك أقول دائماً: الملك عبدالعزيز أنقذني من الجهل...»^(٢).

وبعد تخرج الشيخ حمد الجاسر من المعهد التحق بسلك التعليم مدرساً في

(١) أم القرى. العدد (٣٤٢) السنة السابعة، ٢٧ صفر ١٣٥٠هـ الموافق ٣ يوليو ١٩٣١م، وأحمد
علي. ذكريات، ص ٨٠ - ٨٢. وعبد اللطيف ابن دهيش: التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك
عبدالعزیز، ص ٧٥ - ٧٦، وأبو راس والديب، المصدر السابق، ص ١٥٩ - ١٦٠.

(٢) مجلة المنهل. رحلة في عقل الجاسر، العدد ٥٦٨، السنة (٣) شوال ١٣٩٩هـ، ص ٢٧.

مدرسة ينبع التي ألف عنها كتاباً دون فيه ذكرياته في هذه المدينة. وكان أول راتب شهري تقاضاه هو (٣٣٠) قرشاً أميرياً، أي ما يعادل (٣٠) ريالاً سعودياً، وهو مبلغ كبير إذا قورن بأسعار تلك الحقبة.

قسم القضاء :

وفي أواخر عام ١٣٥٢هـ تخرج من المعهد عدد من الطلاب، فرأت مديرية المعارف العامة الاستفادة منهم في المحاكم الشرعية، ولذلك تم فتح دراسات خاصة لمن يريد من الطلاب العمل في سلك القضاء، وذلك لتخريج قضاة ذوي كفاية؛ لتعيينهم في المحاكم الشرعية. وتنفيذاً لذلك تم في غرة شهر صفر عام ١٣٥٢هـ فتح قسم بالمعهد تحت اسم: قسم القضاء الشرعي، وبلغ عدد الطلاب الذين التحقوا بالمعهد عشرة طلاب وجميعهم من الطلاب الذين أنهوا دراستهم بالمعهد.. وقد تقرر أن يدرس فيه العلوم الدينية بشكل مكثف، وخاصة الفقه وأصوله، وعلوم اللغة العربية، وأصول المحاكمات والمرافعات من خلال ما أصدرته الدولة من أنظمة قضائية، وعين بهذا القسم عند افتتاحه عدد من المشائخ للتدريس فيه وهم: الشيخ إبراهيم الشورى، والشيخ محمد الشاوي، والشيخ محمد شطا، والشيخ محمد عبدالرازق، وتقرر أن تكون مدة الدراسة في هذا القسم عاماً دراسياً واحداً فقط^(١)، ولم يستمر هذا القسم طويلاً، حيث تم قفله بعد ثلاث سنوات من افتتاحه نتيجة لعدم الإقبال الشديد عليه، وخلال السنوات الثلاث من عمر القسم تخرج منه نخبة من الطلاب تم تعيينهم بعد تخرجهم في سلك القضاء في المحاكم وكتابات العدل التي أسستها الدولة في مناطق المملكة الرئيسية.

(١) أم القرى بتاريخ ١٤ ربيع الأول ١٣٥٢هـ ، الموافق ٧ يوليو ١٩٣٣م.

إدارة المعهد :

لقد تولى إدارة المعهد منذ تأسيسه فضيلة الشيخ بهجت البيطار (١٣٤٥ - ١٣٤٩هـ)، ثم في عام ١٣٤٩هـ عين الشيخ إبراهيم الشورى مديراً له، خلفاً للشيخ بهجت البيطار.. وعندما نقل الشيخ إبراهيم الشورى إلى وظيفة مدير المعارف بالنيابة، ظل مديراً له فترة من الزمن بالإضافة إلى عمله الجديد، واستمر مديراً للمعهد من عام ١٣٤٩هـ حتى عام ١٣٥٥ ، حيث تم في عام ١٣٥٥هـ تعيين الشيخ علي الحبشي مديراً للمعهد. واستمر في هذا المنصب حتى وفاته في رجب عام ١٣٥٦هـ، ولذلك تم تعيين الشيخ محمد بابصيل مديراً للمعهد لمدة عامين من سنة ١٣٥٦هـ وحتى عام ١٣٥٨هـ، وفي عام ١٣٥٨هـ أدمجت إدارة المعهد وتحضير البعثات في إدارة واحدة، وأصبح الشيخ أحمد العربي مديراً لها، واستمر هذا الدمج بين الإدارتين حتى عام ١٣٦٥هـ، حيث تم فصل إدارتي المعهد وتحضير البعثات إلى إدارتين، فأُسندت إدارة المعهد للأستاذ عبدالله عبد الجبار وذلك من بداية عام ١٣٦٥هـ، واستمر مديراً للمعهد حتى عام ١٣٦٩هـ حيث تم نقله إلى عمل آخر في الدولة، فأُسندت إدارة المعهد إلى الأستاذ محمد حلمي، واستمر الأستاذ محمد حلمي مديراً له حتى عام ١٣٨٠هـ، وأخيراً تم تعيين الأستاذ عبد الملك الملا مديراً للمعهد من بداية عام ١٣٨٠هـ حتى قفل المعهد بنهاية سنة ١٣٨٢هـ^(١). وقد قدم كل واحد من هؤلاء المديرين خدمات جليلة للعلم وطلابه.

(٢) عبد اللطيف ابن دهيش . التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبدالعزيز، ص ٧٥، وأحمد محمد جمال. ماذا في الحجاز - ط ٢ - مكة: دار الثقافة للطباعة، ١٤٠٨هـ، ص ٢٥ .

الهيئة التدريسية بالمعهد :

عندما اعتزمت مديرية المعارف فتح المعهد العلمي السعودي، قامت باستقدام عدد من الأساتذة المتخصصين، وكان منهم: الشيخ إبراهيم حامد الفقي، والشيخ عبدالرزاق حمزة، والشيخ محمد عبدالله الغزالي، والشيخ عبدالظاهر أبوالمسمع، والشيخ سليمان أباطة الأزهري من مصر، لتدريس العلوم الدينية بالمعهد، كما استقدمت من سوريا كلاً من: الأستاذ حسن زكريا لتدريس اللغة العربية، والأستاذ محمود الحمصي لتدريس الرياضيات والمواد الاجتماعية، والأستاذ سعدي ياسين لتدريس الأدب العربي والمحفوظات، والأستاذ أحمد مؤمن من الهند لتدريس اللغة الإنجليزية، كما كان يدرّس بهذا المعهد من السعوديين كل من: الشيخ محمد أمين فوده، والشيخ محمد علي خوقير، والشيخ حسن كتيبي^(١)، ثم أضيف لهم الأساتذة: عبدالله أحرار خوجه، ومحمد بناني، ومحمد نور الجماوي، وحسن زمزمي، وعبدالغني زمزمي، ثم سعيد بوقري، والشيخ إبراهيم فطاني، وعبدالرحمن بكر صباغ^(٢).

وقد شهد المعهد أعداداً كبيرة من المدرسين معظمهم من مصر؛ لتدريس اللغة الإنجليزية ومواد اللغة العربية، والأدب العربي. أما المواد الدينية فيقوم بتدريسها عدد من المدرسين السعوديين، ويصعب ذكر جميع أسماء المدرسين بالمعهد لكثرتهم وعدم توافر السجلات الدقيقة في هذا الموضوع، مما يحتاج إلى بحث أوسع في هذا المجال.

(١) أحمد علي. ذكريات، ص ٧١ - ٧٤، ٨٣ .

(٢) عبدالرحمن بكر صباغ . ذكريات مدرس ، ص ٧٠ .

مباني المعهد :

كان مقر المعهد عند افتتاحه في مبنى إدارة المالية بأجياد^(١)، وفي عام ١٣٥٨هـ نقل المعهد إلى حي القشاشية في مبنى حكومي كبير أمام باب علي، وقد أزيل هذا المبنى ضمن مشروع توسعة الحرم المكي الشريف، فنقل المعهد في أوائل عام ١٣٧٨هـ إلى حي الزاهر في المباني الحكومية التي أهدتها الدولة لوزارة المعارف^(٢).. واستمر المعهد في هذا المبنى حتى تم قفله في عام ١٣٨٢هـ، وقد كنت أحد طلاب المعهد لمدة خمس سنوات (١٣٧٨ - ١٣٨٢هـ)، وكانت دفعتي آخر دفعة تخرجت من المعهد^(٣).

الخطة الدراسية :

كانت الخطة الدراسية بالمعهد ثلاث سنوات؛ يدرس فيها الطالب المواد التالية:

السنة الأولى : التوحيد، الفقه، الحديث، التفسير، النحو والإنشاء والخط والأدب والمطالعة، الحساب، الهندسة، التاريخ، ومبادئ الصحة العامة، الجغرافيا (تقويم البلدان)، الرسم، التربية العملية.

السنة الثانية : التفسير، الحديث، التوحيد، الفقه، التاريخ، الحساب، الهندسة، النحو والأدب والإنشاء والخط والمطالعة، الجغرافيا، مبادئ الفرائض، التربية العملية، والرسم.

(١) أحمد علي . ذكريات ، ص ٧٣ .

(٢) الشيخ عبد الله بن عمر ابن دهبش . تقرير عن المعهد العلمي السعودي، ص ٦ .

(٣) عبد اللطيف عبد الله ابن دهبش . السيرة الذاتية.

السنة الثالثة : التفسير، الحديث ومصطلحه، الفقه وأصوله، التوحيد، النحو والأدب والبلاغة والإنشاء والخط والحساب، مسك الدفاتر، الهندسة والجبر، والتاريخ، التربية العملية، الصحة العامة، اللغة الإنجليزية.

وعند إعادة افتتاح المعهد في بداية عام ١٣٤٧هـ تقرر إضافة سنة إعدادية، يدرس فيها الطالب أولويات المواد التالية: التفسير، الحديث، التوحيد، الفقه، الجغرافيا، النحو والأدب والخط والإنشاء والإملاء، الصحة المدرسية، الحساب، الرسم، التاريخ الإسلامي؛ وبذلك أصبحت مدة الدراسة بالمعهد أربع سنوات، السنة الأولى منها سنة إعدادية.

وفي عام ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م أضيفت سنة دراسية خامسة، وأصبحت مدة الدراسة بالمعهد خمس سنوات دراسية، يدرس فيها الطالب المواد المدونة في الجدول التالي:

المادة	السنة الأولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة	السنة الخامسة
التفسير	٢	٢	٢	٢	٢
الحديث	٣	٣	٣	٣	٣
الفقه	٤	٤	٣	٣	٣
التوحيد	٣	٣	٢	٢	٢
مصطلح الحديث	—	—	١	١	١
أصول الفقه	١	—	١	١	١
القواعد العربية	٣	٣	٣	٤	٤
الإنشاء	١	٢	٢	١	١
الأدب	٢	٢	٢	٢	٢
البلاغة	٢	٠	١	١	١
فقه اللغة	—	—	—	—	١
الخطابة	—	—	١	١	١
المطالعة	١	١	١	١	١
الإملاء	—	١	١	—	—
الخط	١	١	١	١	١
العربية وعلم النفس	—	—	—	٣	٣
التاريخ	٢	٢	٢	٢	٢
الجغرافيا	٢	٢	٢	١	١
علوم حديثة	١	١	١	١	١
الحساب	٣	٣	٣	٢	—
الهندسة	—	—	١	١	١
الرسم	١	١	١	١	١
اللغة الإنجليزية	٣	٣	٣	٣	٣
	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦ ^(١)

(١) المملكة العربية السعودية. مديرية المعارف العامة، منهج الدراسة للمعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة ٠٠ ط ١ - ٠٠ مكة: مطابع الحكومة، ١٣٧٢هـ).

وانظر أيضاً.. عبدالله الحقييل. «جوانب مضيئة لمسيرة التعليم في عهد الملك عبدالعزيز»، مجلة الدارة، ٤٤، رجب ١٤٠٦هـ، ص ١٤١.

وفي عام ١٣٧٢هـ صدر منهج جديد للدراسة في المعهد العلمي السعودي. وفيه كل التفصيلات عن كل مادة من المواد الدراسية، وما يجب أن يدرسه الطالب من موضوعات، مع إضافة مادة فقه اللغة للمنهج السابق، وكانت خطة الدراسة كالتالي:

المادة	السنة الأولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة	السنة الخامسة
التوحيد	٣	٣	٢	٢	٢
الفقه	٤	٤	٣	٤	٤
الفرائض	١	١	١	١	١
التفسير	٢	٢	٢	٢	٢
أصول الفقه	-	-	٢	٢	٢
الحديث	٢	٣	٣	٣	٣
مصطلح الحديث	-	-	٢	٢	٢
البلاغة	-	١	١	١	١
الحساب	٣	٣	٢	-	-
الأدب والمحفوظات	٢	٢	٢	٢	٢
التربية وعلم النفس	-	-	-	٣	٣
التربية العملية	-	-	-	١	١
تقويم البلدان (الجغرافيا)	٢	٢	٢	١	١
التاريخ	٢	٢	٢	٢	٢
الهندسة	-	-	١	١	١
القواعد (النحو والصرف)	٣	٣	٣	٤	٤
فقه اللغة	-	-	-	٢	١
الإنشاء	٢	٢	٢	٢	٢
الخطابة	-	-	١	-	-
الخط	١	١	١	١	-
المطالعة	١	١	١	١	(١)

(١) أحمد علي . ذكريات ، ص ٨٠ - ٨٢ ، وجريدة أم القرى .